مَظاهرُ النَشاطِ الاِقتصَاديّ لعَرَب بَنيّ هِلال في سُودان وادي النِيل (القرن ٨-١٠هـ)

إسمَاعِيل حَامِد إسمَاعِيل عَليّ(*)

مقدمة

تَتنَاولُ الورقةُ أهمَ مظَاهرِ النَشاطِ الاقتصَادي الذي قام به بنُوهلال في سُودان وادي النيل خلال الفترةِ التي تمتدُ من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وحتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. ومن المعروف أن تلك المرحلة شهدت بروز "الدور الهلالي" إلى أوجِ ازدهارهِ في سُودان وادي النيل لاسيما عبر دورهم السياسي المُهم من خلال تأسيسِ عددٍ من الممالـكِ الإسلامية في هذه البلاد، ولعل أهمها: تأسيس "سلطنة دافور" الإسلامية على أيدي سلاطين "أُسرة كيرا"، وهي أسرةٌ ملكيةٌ ذات "أصل هلالي" معروف، وكذلـك تأسيس الهلاليين لـ"سلطنة المُسبعات" في إقليم كُردفان بفضل أحد البُطون أو الفُروع التي تنتسبُ هي الأُخرى إلى قبيلة بني هلال. ومن خلال الدورِ السياسي للجماعات الهلالية، وكذلـك أهميته في سُودان وادي النيل، برز من جانبٍ آخر دَورُهم الاقتصادي في أقاليم تلك البلاد.

ويتجلى ذلك من خلال تَعدُد وتَنوعِ مظاهر النشاط الاقتصادي الذي قامت به بعضُ جماعات بني هلال، أو أحد فروع تلك القبيلة العربية التي استقرتْ في سُودان وادي النيل، ولعل منها: الرُزيقات، والزَّيادية، والتُنجُور (التُنجر)، والمُسبعات..الخ. ومما لاريب فيه أن الهلاليين مارسوا العديد من الأنشطة الاقتصادية لاسيما الحرف والصناعات في سُودان وادي النيل، ويبدو أنهم أتقنوا بعضَها بشكلٍ أو بآخر، وإن طغى النشاطُ الرَعَوي على أكثر الهلاليين هناك. ولعل ذاك هو الموضوع الرئيس الذي تُحاول الورقةُ أن تقوم بدراسته، وكشفَ الغُمُوض الذي يكتنفُ مظاهر النشاط

(*) كلية الدراسات الإفريقية العليا- جامعة القاهرة ، عدد ٤٦، يوليو ٢٠١٩ ص ص ١ - ٣٢ .

الاقتصادي للجماعات الهلالية في سُودان وادي النيل في ضوءِ قلة المصادر التي تناولت ذلك الموضوع. وسوف تتناولُ الورقةُ تلك الإشكالية من خلال المحاور التالية:

أولاً – نَسَبُ بَني هِلال وهِجراتُهم إلى سُودان وادي النيل.

ثانياً- النشاطُ الاقتصاديُ للهلاليِّين في سُودان وادي النيل:

١- حِرفةُ الرَعيّ.

٢- النشاطُ الزِراعي.

٣- التِجارةُ.

٤- الحِدادةُ والأسلحةُ المعدنية.

٥- حِرفةُ البناءِ.

٦- الصناعاتُ الخشبيةُ.

٧- حِرفةُ الصَيد البَرَي.

٨- الدِباغة والصناعاتُ الجِلدية.

أولاً– نَسبُ بني هِلال وهجراتُهم إلى سُودان وادي النيل:

يَنتسبُ بَنوهلال إلى جدهم الأول: هِلال بن عَامرْ بن صَعصعة ابن مُعاوية ابن بَكر بن هَوازن بن مَنصور بن عِكرمة بن حَصفة بن قَيس عِيلان بن مُضَر (١). وهذا هو النسبُ الذي ورد في أكثر مصادر "الأنسابِ العربية" المُعتبرة، ومن اللافت أن البعض أشار إلى أن هلال الجدُ الأعلى لبُطون بني هلال يرجع أصلهُ من خارج "جزيرة العرب" (٢). وهو ما لم تُشر إليه أي من المصادر المُعتبرة في "علم الأنساب". أما مُضَر وهو أحد الأجداد البعيدين فى نسب النبى (صلى الله عليه وسلم) (٣)، واسمه: "مُضَر بن نِزار بن مَعد بن عَدنان" (٤).

---

(١) وعن نسب بطون بني هلال، انظر ابن الكلبي: جمهرة النسب، جـ١، ص٢٨٣، جمهرة النسب، جـ١، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٠م. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفى بروفنسال، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٢٨٢، السويدي: سبائك الذهب ، شركة نوابغ الفكر، ٢٠٠٨م، ص٥٨-٦٠، العمري: قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٥٥، ص١٥٧، ابن خلدون: العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعُجم والبربر، جـ٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧م، ص٦، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م، ٣٤١، القلقشندي: قلائد الجمان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م ص٦٤، عُجالة المُبتدي وفُضالة المُنتَهي في النَسب، تحقيق: عبدالله كنون، مجمعُ اللغة العربية، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١٢٣، ماكمايكل: تاريخ العرب في السودان، جـ٢، ترجمة: سيد على محمد ديدان، الخرطوم، ٢٠١٣م، ص١٦١).

(٢) حيث أشار البعض أن هلال بن عامر من أصل مصري (انظر موجز دائرة المعارف الإسلامية: جـ٣٢، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٨٨م، ص١٠٠٦٢).

(٣) أما عن نسب النبى (ص)، فهو حسب ما ورد في كتب الأنساب: "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (شيبة) بن هاشم (عمرو) بن مناف (المغيرة) بن قُصّى بن كلاب بن مُرة بن لؤى بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كِنانة بن خزيمة بن مُدركة (عامر) بن إلياس بن مُضر بن نِزار بن معد بن عدنان.." (الذهبى: السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٧، وانظر محمد بن يزيد ابن ماجة: كتاب تاريخ الخلفاء، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٠).

(٤) عدنان: وعن عدنان ونسله، يقول اليعقوبى: "وكان عدنان أول من وضع الأنصاب وكسا الكعبة، فكان له من الولد عشرة أولاد، وهم: نِزار، وقضاعة، وعبيد، وقنص..وكان معد يكنى: أباقضاعة، فانتسب عامة ولد معد فى اليمن...وانتمت قضاعة الى ملك حمير" (اتاريخ اليعقوبى، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٩١). ويقول البلاذرى: "وولد معد بن عدنان: نزار بن معد، وبك كان يكنى""(أنساب الأشراف، جـ١، تحقيق: محمد حميدالله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧ م، ص١٥) وينتسب لعدنان "العرب العدنانية"، وهم ولد عدنان بن إسماعيل عليه السلام، أما العرب الآخرون، فهم "عرب قحطان"، قال ابن هشام: "فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهل اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل، وإسماعيل أبوالعرب كلها.." (السيرة النبوية، مكتبة الصفا،٢٠٠١م، ص١٥).

وتُقسم المصادرُ التاريخيةُ قبيلة بني هلال بصفةٍ عامةٍ إلى ثلاثةِ بُطون رئيسية، وهم بُطون: (الأَثبِج، ورياح، وزَغبة) (١). وتُعَد جماعاتُ "رياح" من أقوى بُطون بني هلال، وهم أكثرهم جمعاً (٢). وهم ولدُ: "رياحُ بن ربَيعة بن نَهيك بن هِلال بن عامر" (٣). ومن أولادِ رياح ربيعة بن رياح ابن أبي ربيعة، وهو المشهور بلقب "ذو البُردين" (٤). ومن العشائر التي تنتمي إلى جماعات رياح أيضًا: "الدواودة (٥). ومن بطون بنى هلال أيضا: بنوقُرة (أو بنوفَروة)، وكذلك بنونعجة، وهم الذين هاجروا إلى مصر وإفريقية، وكذلك "بنو حرب" الذين سكنوا بلاد الحجاز (٦). ويذكر البعضُ بطن "بني قُرة" باسم: بني فَروة بن عمرو، وهم من نسل بنى عبدمناف بن هِلال بن عامر (٧)، واسمُ "بني قُرة" هو الأصحُ حسب ما ورد في جُل المصادر التاريخية، وممن أشار لذلك: ابنُ فضل الله العُمَري (ت:**٧٤٩هـ/١٣٤٨م**) (٨)، وابنُ خلدون (ت: **٨٠٨هـ/١٤٠٥م**)، والمقريزىُ (ت:**٨٤٥هـ/١٤٤١م**)، حيث يقول عنهم ابن خلدون: "وكان فيها بنوقُرة من هلال بن عامر.." (٩).

---

(١) وللمزيد عن بطون قبيلة بني هلال انظر ابن فضل الله العمري: قبائل العرب، ص١٥٧، وانظر أيضا: موجز دائرة المعارف الإسلامية: جـ٣٢، ص١٠٠٦٢.

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢٨٢-٢٨٣، ويذكر ابن خلدون أن بعض الشيوخ من بطن رياح كانوا يزعمون أنهم من نسل "البرامكة"، وهم من الجماعات التي أثارت الفوضى في العالم الإسلامي، يقول ابن خلدون: "وقد يتشرف كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب إلى أنساب يلهجون بها، إما لخصوصية فصيلة كانت في أهل ذلك النسب من شجاعة...ومنه ادعاء أولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بني عامر أحد شعوب زغبة أنهم من بني سليم، ثم من الشريد منهم لحق جدهم ببني عامر نجارا يصنع الحرجان (وهو خشب يحمل الموتى)، واختلط بهم والتمهم بنسبهم حتى رأس عليهم..ومن هذا الباب ما يدعيه..بنو سلامة شيوخ بني يدللتن من توجين أنهم من سليم، والزواودة شيوخ رياح أنهم من أعقاب البرامكة أمثال كثير، ورياستهم في قومهم مانعة من ادعاء هذه الأنساب" (المقدمة، جـ١، ص٧٣). وتوجد بطن رياح من عدي بن كعب قبيلة عمر بن الخطاب (مصعب الزبيري: نسب قريش، ص٣٤٧).

(٣) ياقوت الحموي: المقتضب من جمهرة النسب، ص١٢٤.

(٤) المصدر السابق، ص١٢٤.

(٥) انظر ابن خلدون: المقدمة، جـ١، ص٧٣.

(٦) المقريزى: البيان والإعراب عمن بأرض مصر من قبائل الأعراب، تحقيق: رمضان البدرى، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦ م، ص ١٣٢.

(٧) المصدر سابق، ص ١٣٥.

(٨) العُمري: مسالك الأبصار، مصدر سابق، ص١٥٧.

(٩) المقدمة: جـ١، ص٧٣، العبر، جـ٦، ص٦.

ويرى الباحث أن اسم بني فَروة هو تصحيف لاسم: بني قُرة، أو كان ذلك بسبب خطأ في النسخ.

وهاجرت جماعاتٌ من بني هِلال مع بدايات "الفتوحات الإسلامية" من موطنها الأول بـ"شبه جزيرة العرب" إلى بلاد الشام (١). كما ارتحل بعضُهم أيضًا إلى مصر بعد الفتح العربي **(٢١هـ/٦٤١م)**، وكذلك إلى سودان وادي النيل (السودان حاليًا). وفي الغالب سلكت هذه الجماعاتُ الطريقين الرئيسيين في ذلك الوقت، وهما: "البحرالأحمر"، وطريق "درب الأربعين"(٢). وتشير المصادر إلى وجود بعض الجماعات من بني هلال في مصر منذ أيام أيام حملة العُمري التي أرسلها والي مصر ابن طولون إلى بلاد البجة سنة **٢٥٥هـ/٨٦٨م**، ثم هاجر الهلاليون من البجة بعد أن وقع الصدام بين العمري وعرب ربيعة (٣).

وتم نقل جماعات كبيرة من الهلاليين، ومن بني عمومتهم من قبيلة بني سُليم إلى مصر أيام "العزيز بالله" **(٣٦٥ــ٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦هـ)** إلى الصعيد، حيث عمل الخلفاء الفاطميون على استقرار هذه الجماعات هناك، وكان من أهم البطون والفروع الهلالية التي استقرت في المدن المصرية في ذلك الوقت: بنو رياح، وزُغبة، ومعقل، وجشم، وبنوقُرة (٤). ويُشير البعضُ إلى أن جماعات "الجعافرة" الذين كانوا قد استقروا بين كل من أسوان وإسنا كانوا في الأصل من بني هلال (٥). كما سكنت أيضًا أعدادٌ من قبيلة بني هلال في مدن: أخميم، وساقية قلتة، كما أقاموا في إسنا، وغيرها من مدن الصعيد (٦). ثم

---

(1) P. 145 Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan, Vol.1,

(٢) رجب عبدالحليم: الإسلام والعروبة في دارفور في العصور الوسطى، ص٢٢.

(٣) المقريزي: المقفى، جـ١، ص ٢٠٥، وانظر أيضا مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص٣٦٧.

(٤) ابن خلدون: العبر، جـ٦، ص١٨، وانظر مصطفى محمد مسعد: الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١ م، ص٢٥٠.

(٥) ويُشير المستشرق هارولد ماكمايكل Harold Macmichael إلى أنه خلال القرن ٨هـ/١٤م كان بنو هلال أكثر الجماعات العربية استقرارا في الصعيد، وكانت أعدادهم كبيرة خاصة في أسوان والصحراء الشرقية وحتى عيذاب، وفي أكثر مدن الصعيد عموما، وللمزيد انظر:

- P. 147 Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan, Vol.1,

(٦) قال المؤرخ الحمداني عن وجود بني هلال في العديد من المدن المصرية: "وبإخميم منهم بنوقرة، وبساقية قلتة منهم طائفة، وبأصفون وإسنا بنوعقبة وبنو جميلة" (القلقشندي: قلائد الجمان، ص٦٥-٦٦)، ويشير المقريزي إلى أنه بالصعيد الأعلى كانت تسكن عدة قبائل من العرب، ففي أسوان وما تحتها بنوهلال (انظر المقريزي: البيان والإعراب، ص١٣٤).

انتشر الهلاليون في مدن وقرى الصعيد الأعلى، حتى قالت عنهم المصادر: "وكانوا أهل بلاد الصعيد كله إلى عيذاب..." (١). وهي إشارةٌ جليةٌ لكثرة أعدادهم هناك.

وتُشكل هجراتُ بني هلال من أرض مصر إلى بلاد المغرب خلال عصر الدولة الفاطمية (**٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م**) مرحلة مُهمة في تاريخ القبيلة، وذلك نظرًا للأثر الحضاري المهم الذي تركته هذه الهجرات في المغرب، سواء اقتصاديًا، أم سياسيًا، أم اجتماعيًا، وتحديدًا في إفريقية، وكذلك المغرب الأدنى، رغم ما شاب هجراتهم من أعمال الفوضى (٢). وهاجرت جماعات وبُطون بني هلال إلى بلاد النوبة وسُودان وادي النيل على الراجح عبر ثلاث مراحل رئيسية، أي أنها لم تتم خلال مرحلة واحدة. وتُؤرخُ **المرحلة الأولى** لهجرة بُطون بني هلال إلى مناطق سُودان وادي النيل لحوالي النصف الثاني من القرن **٣هـ/٩م**، ذلك إبان حملة أبي عبدالرحمن العُمري (٣) إلى بلاد البجة، حيث هاجر الهلاليون الى بلاد

---

(١) وللمزيد، انظر المؤرخ والنسابة "رواية الحمداني" عن وجود بطون بني هلال في أرض الصعيد بمصر (القلقشندي: قلائد الجمان، ص٦٥).

(٢) ابن خلدون: العبر، جـ٦، ص١٨، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص٢١٢، وللمزيد، انظر يوسف فضل حسن: المعالم الرئيسية في الهجرة العربية إلى السودان، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، عدد ١٣، ١٩٦٧م، ص١٢١.

(٣) حملة العُمري: كان أبوعبدالرحمن العمري رجلاً من أتقياء الناس وأورعهم، كما كان من أهل العلم. قضي شطرًا كبيرًا من حياته في مدينة القيروان (إفريقية)، وحاز ثقة واسعة. وعرف باسم العُمري لأنه ينتسب لنسل عمر بن الخطاب، واسمه كاملا: أبوعبدالرحمن عبدالله بن عبد الحميد بن عبدالله بن عبد العزيز بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب (وللمزيد، انظر تاريخ اليعقوبي: جـ٢، ص٣٥٥، مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، ص١٢٥، حسن أحمد محمود: حضارة مصر الاسلامية في العصرالطولوني، ص٤٣). وفي سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م أرسل ابن طولون والي مصر حملة العُمري، وكانت هذه الحملة تضم العديد من القبائل العربية. ويبدو أن جماعات كبيرةٍ من جُهينة رافقت تلك الحملة، وحسب البعض فإن عددهم بلغ حوالي ٨٦٩ شخصاً. تقول مخطوطة كاتب الشونة: "وقدم إليهم أبوعبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الحميد العُمري بعد محاربته النوبة في سنة خمس وخمسين ومائتين، ومعه ربيعة وجُهينة وغيرهم من العرب.."(مخطوطة كاتب الشونة: ورقة رقم١٢). وللمزيد، انظر محمد غيطاس: حملة اليونسكو وأضواء جديدة علي تاريخ النوبة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧م، ص١١٢، مصطفى مسعد: البجة والعرب: ص٣٦،وللمزيد، Macmichael: A History of the Arabs, Vol. I , P. ١٣٨

وثمة رأي يذهب إلى أهمية هذه الحملة في جلب الهجرات العربية إلى بلاد البجة، ومن ثم دورها في حركة التعريب أكثر من غيرها من الحملات العسكرية الأخرى.

النوبة بعد أن وقع الصراع بين كل من العُمري وعرب ربيعة، ومن كان يحالفهم من قبائل العرب الأُخرى التي كانت تسكُن تلك المنطقة (١).

وكان بنوُ هلال مُرافقين لقدوم الحملة العسكرية إلى مناطق سودان وادي النيل، وهذه الإشارةُ من أقدم ما ورد في المصادر عن هجرة واضحة لـ"بني هلال" إلى سودان وادي النيل. ومن المؤكد أنه كانت توجد جماعات أخرى منهم استقرت في هذه البلاد آواخر القرن **٣هـ/٩م** بعد أن وقع الصراع بين العُمري وعرب ربيعة في بلاد البجة. أما "**المرحلة الثانية**" وكانت خلال حملة السلطان قلاوون (**٦٧٩-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م**) إلى بلاد النوبة سنة **٦٨٦هـ/١٤٨١م** (٢). يقول ابن خلدون: "وانتقل المُلك الى المنصور قلاوون، فبعث سنة ست وثمانين العساكر الى بلاد النوبة مع علم الدين سنجر...وسار بهم والي قوص..بعد أن استنصر العُربان وأولاد بكر، وأولاد عمر... وأولاد كنز الدولة..وبني هلال.." (٣). بينما **المرحلة الثالثة**: ترجعُ إلى حوالي القرن **٨هـ/١٤م**، وربما قبله بقليل، وبدأت الهجرة في الغالب من شمال أفريقيا، ثم اتجه بنوهلال جنوبًا إلى سودان وادي النيل (٤). وهي تعد أهم الهجرات الهلالية إلى سودان وادي النيل، لأنها تركت أثرًا مهما، خاصة في إقليمي دارفور وكُردفان، إذ برز الدور السياسي لـ"بني هلال" في إقامة السلطنات الإسلامية، ومنها: "سلطنة دارفور"،

---

(١) المقريزي: المُقفى، جـ١، ص٢٦٥، مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص٣٦٧، وانظر أيضًا جوستاف ناختيجال: سلطنة دارفور أقاليمها وأهلها وتاريخهم، ترجمة: النور عثمان أبكر، دار عزة للنشر والتوزيع، طبعة الخرطوم، ٢٠٠٤م، ص١١٩.

وانظر أيضًا:

Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan, Vol. 1, P. 147

(٢) انظر ابن خلدون: العبر، جـ١، ص٤٥٠، النويري: نهاية الأرب، جـ٢٩، ص٦٨، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، جـ٦، ص٧٨، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص، وللمزيد عن حملة السلطان المنصور قلاوون، انظر أيضا مصطفى محمد مسعد: المكتبة السودانية: ص٢٧٨، رجب محمد عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص٢٠٥.

(٣) انظر العبر: جـ١، ص٤٥٥ ، وانظر المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، اختصار وتقديم: عمر مصطفى لطف، هيئة الكتاب، ٢٠١٦م، ص١٤٧، مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص٢٧٨.

(٤) وللمزيد انظر رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص٢٠٥.

و"سلطنة المسبعات" في كُردفان. ويُشير البعض من ناحية أخرى إلى أن بني عطية هاجروا إلى دارفور من جزيرة العرب، وبنوعطية ينتسبون لـ"الأثبج" الهلاليين (١).

ثانياً- الدور الاقتصادي لعرب بني هلال في سودان وادي النيل:

برز الدورُ الاقتصاديُ باعتباره من أكثر الجوانب التي قام بها بنوهلال بصفة عامة حيثما استقروا في البلاد (٢)، ومن ذلك دورهم في سودان وادي النيل. ويبدو أثرهم الاقتصادي واضحاً في هذه البلاد من خلال تعدد أنماط الأنشطة التي مارسوها، وإن كان يغلب عليها النشاط الرعوي (٣). ومن أبرز مظاهر النشاط الاقتصادي للهلاليين:

١- حرفةُ الرعيّ:

يُعتبر الرعيُ من أهم جوانب النشاط الاقتصادي التي قام بها بنوهلال في سودان وادي النيل، ومن المعروف أن الرعي نشاطٌ اقتصاديٌ يتوافقُ مع طبيعة بني هلال البدوية، ولذا يقول القلقشندي: "وهم (أي الهلاليون) أهلُ إبل، يكونُ عند

---

(١) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص١١٠، واستقرت جماعات كبيرة من بني عطية في إقليم كردفان بعد أن انفصلوا عن الهلاليين بالسودان، ثم صاروا ينتسبون لجماعات "الكبابيش". كما ذهبت جماعات منهم من رعاة الإبل لمناطق أبعد في الجنوب، وعاشوا بين الرزيقات، وهم من البقارة في دارفور ويشير البعض أيضًا الى أن جماعات "المحاميد" التي تنتسب لـ"بني هلال" كانوا قدموا من أفريقية (تونس) وليبيا، أي أنها ربما جاءت خلال ذات المرحلة (وللمزيد انظر رجب عبدالحليم: دارفور، المرجع السابق، ص١١٠ وما بعدها، وانظر أيضا ص ١٢٨). كما أن بعض المصادر التاريخية تتحدث عن وجود جماعات منهم في منطقة "واداي" Wadai إلى الشرق من دولة تشاد (انظر محمد بن عمر التونسي: تشحيذ الأذهان، مصدر سابق، ص١٢٨-١٢٩)، والمعروف أن منطقة واداي ترتبط بالجماعات العربية من قبيلة بني هلال، وهم ينتسبون إلى زعيم دار القمر، ورمز القمر عندهم هو الهلال (وللمزيد، انظر رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص١٩٨).

(٢) القلقشندي: قلائد الجمان، ص٦٥، وانظر ابن خلدون: العبر، جـ٦، ص٣٢-٣٣، التونسي: تشحيذ الأذهان، ص١٣٩، الفحل الفكي الطاهر: تاريخ وأصول العرب بالسودان ص٣٦٠. وعن بني هلال يصف أوليا جلبي: "كما أن لهم كثرة هائلة من الأغنام، والمواشي التي تنتج كميات كبيرة من السمن النفيس ذي الرائحة المسكية" (الرحلة، جـ١، ص٢٧٩)، وانظر Macmichael: Kordofan, Op. Cit. P ٦١.

(٣) مصطفى مسعد: سلطنة دارفور، ص٢١٦، وانظر موسى آدم عبدالجليل، خلاوي دارفور، ص٦٦.

الرجل منهم ستين ألف بعير..." (١). ويُؤيدُ ذلك ما ورد في بعض الروايات أنه زادت ثروات بني هلال بعد قدومهم مع أحمد المعقور، وهو جد الهلاليين في سودان وادي النيل، وتكاثرت ماشيتهم، وأنعامهم (٢). وعلى هذا اشتُهر الهلاليون برعي الماشية منذ ما قبل هجراتهم لهذه البلاد، وكان من الطبيعي أن يحترف أكثرُهم الرعي أينما ارتحلوا (٣). فـ"الرزيقات" الهلاليون على سبيل المثال كانوا من "البقارة" **Baggara Groups** واشتُهروا برعي الأبقار والماشية (٤). ويؤيد ذلك أن جماعات من "البقارة" تزعم النسب للمعقور الهلالي (٥). ومما ورد في المصادر عن عمل الهلاليين بحرفة الرعي، تقول "مخطوطة تاريخ ملوك السودان": "لأن العرب كثر دخولهم الى بَر السودان، وصاروا سكانها. منهم من سكن الحضر ومنهم من تبع المراعي، وهم قبائل شتى من حِمير، وربيعة، وبنوعامر (وهم بنوهلال)، وقحطان..." (٦).

وتعني تلك الإشاراتُ أن بني هلال، أو بني عامر، كانوا مثل غيرهم من القبائل العربية التي هاجرت إلى سودان وداي النيل ممن عملوا بـ"الرعي"، وكانوا يتبعون العشب والكلأ أينما ذهبوا. وكانت "البقارة" **Baggara Groups** التي ينتسب لهم بعض الجماعات الهلالية بصفة عامة يتشكلون من عدد من الجماعات والبطون تسكن بعض الأقاليم في حوض النيل الأوسط لاسيما المناطق التي تلائم حياة "البداوة"، وأنهم كانوا يرعون الأبقار أكثر من الإبل، ولذا غلب عليهم الارتباط

---

(١) القلقشندي: قلائد الجمان، ص٦٥، تشحيذ الأذهان، ص١٣٩، مسعد: سلطنة دارفور، ص٢١٦.

(٢) أحمد عبدالقادر أرباب: تاريخ دارفور عبر العصور، جـ١، ص٦٩.

(٣) انظر ابن خلدون: العبر، جـ٦، ص٣٣، القلقشندي: قلائد الجمان، ص٦٥.

(٤) الفحل الفكي: تاريخ وأصول العرب بالسودان، ص٣٦٠.

(5) Macmichael: Kordofan, P. 137.

Macmichael: Kordofan, Op. Cit. P. 58.

(٦) مجهول: مخطوطة تاريخ ملوك السودان وأقاليمه، ورقة رقم ١٠.

بـ"الأبقار" (١). ويُشير البعضُ إلى أن "البقارة" كانوا ينتشرون في كثير من بقاع حوض النيل الأوسط لاسيما في كل من دارفور وكُردفان (٢). ولفظُ "البقارة" ليس اسم علم يشير لقبيلة بذاتها، بل وصفٌ يدلُ على الحرفة التي يقوم بها من ينتسب لهم، والغاية من ذلك تُمييزهم عن غيرهم من الرُعاة، مثل: "الكبابيش"، و"الأبالة" (٣).

وتوجد عدة جماعات هلالية أُخرى استقرت وسط البقارة، ومن أبرزهم: الرزيقات، والشوا، والحوازمة..الخ (٤). ومن المعروف أن حياة سكان دارفور ومنهم بنوهلال كانت تقوم على رعي الإبل، والماشية أكثر من غيرها (٥). وتتحكم بعضُ "العوامل الطبيعية" في وجود "البقارة" لحدٍ كبير، إذ يعتمدون على تلك العوامل في جوانب حياتهم، وكذا اختيار المنطقة التي يستقرون بها، ومن أهم تلك العوامل ما يرتبط بفترة سقوط "الأمطار"، ووفرة العشب، والكلأ، وموسم الزرعة، ووجود نظامٍ لحفر آبار المياه بحيث تكون المياه متوافرة لهم خلال موسم الصيف (٦). وهذه الجماعات ذات الأصل العربي، في رأي المستشرق آدامز **Adams** وغيره، "صار يغلبُ عليها الطابع الأفريقي أكثر من الطابع العربي" (٧).

---

(1) k. Henderson: A Note on the Migration of the Messiria Tribe into South West Korofan, Sudan Notes & Records (S.N.R) Vol. 22. No. 1, 1939, P.49.

وللمزيد، انظر ويليام آدامز: النوبة رواق أفريقيا، ص٤٨٩. ومن المعروف أن أكثر قبائل البقارة تزعم أنهم من سلالة أبي زيد الهلالي (انظر يوسف أبوقرون: قبائل السودان الكبرى، ص١٠٠).

(٢) عبدالمجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص٦١.

(٣) وكان أكثر جماعات الكبابيش وهم رعاة الكباش والخراف والماعز يسكنون في إقليم كردفان (عبدالمجيد عابدين: المرجع السابق، ص٦١).

(4) Wllie F. Page: Encyclopedia of African History & Culture (African Kingdoms), Vol. II, P. 27

(٥) مصطفى مسعد: سلطنة دارفور، ص٢١٦.

(6) K. Henderson: A Note on the Migration of the Messiria Tribe into South West Korofan, P. 49

(٧) ويليام آدامز: النوبة رواق أفريقيا، ص٤٨٩. وللمزيد، انظر:

Yousuf S. Takana; Darfur Struggle of Power & Resources, Chr. Michelsen Institute, Norway, 2016, P. 10

وتذكر إحدى الروايات الهلالية السودانية أن عدداً كبيراً من بني هلال، وعبيدهم عبروا مع "أبي زيد الهلالي" مناطق سودان وادي النيل، ثم إنهم تركوا القبيلة خلال مسيرهم في بعض أقاليم هذه البلاد (١)، ثم عاش هؤلاء الهلاليون مع قبائل "البقارة"، واختلطوا بهم، ومن ثم تزوجوا منهم بعد ذلك (٢). وكان البقارة **Baggara** ، وكان منهم جماعات هلالية معروفة، مثل "الرزيقات" وغيرهم أيضاً، وكانوا في الغالب يُطلقون لقب: "الناظر" (النظير) على "شيخ القبيلة" لاسيما في المناطق الجنوبية من إقليم دارفور (٣). وكانت جماعات البقارة تُطلق أيضاً اسم "شاليخة" **Shalikha** وذلك للإشارة إلى بعض الرعاة الذين يقومون بالرعي خلال موسم الصيف جنوب بحر العرب **Bahr al – Arab** (٤).

وطَّورَ "البقارة" نمط حياتهم لاسيما في المناطق التي استقروا بها غرب كردفان، وتحديداً شمال "نهر شاري" **Shari River** ، وكان بعضهم يرتحل في اتجاه الشرق ليقترب من الأماكن التي تقع بالقرب من "جبال النوبا" جنوبي كردفان (٥). وفي هذا الصدد كان "درب الأربعين" تستخدمه جماعات البقارة فى الحركة التجارية، حيث كانت القبائل ترسل عبر هذا الطريق عدداً كبيراً من الأبقار إلى أسواق مصر (٦). وفي ذات الوقت كان الرُزيقات الهلاليون يقومون برعي الكباش والضأن أيضاً، وكانت لهم أعدادٌ كبيرة من الخيول ربما لاتُحصى من كثرتها (٧)، إذ تذكر بعضُ المصادر أنه خلال إحدى المناسبات بلغ عدد خيول الرزيقات حوالي سبعين ألف، بينما كانت الإبلُ تبلغُ لديهم حوالي أربعين ألف (٨).

---

(1) Macmichael: Tribes of Northern Kordofan, P. 131

(2) Ibid, P. 131

(3 (Yousuf S. Takana, P. 17

(4) Ibid, P. 17

(5) K. Henderson: Op. Cit, P. 49

وتعد منطقة "المقلاد" **Muglad** شرق هذه المنطقة الآنفة بالقرب من مناطق جبال النوبا الى الجنوب من اقليم كردفان مركزا رئيسا لقبيلة المسيرية وهم المعروفون باسم "الحمر"، أو "المسيرية الحمر" **Red Messiria** ، وتقع جزيرة المقلاد شمال وادي الغالا، وتحيط بهذه الجزيرة من ثلاثة جهات منطقة خور الحاجز. وللمزيد عن مجموعة القبائل التي تكون "البقارة" في سودان وادي النيل. وللمزيد عن ذلك، انظر: K. Henderson: Op. Cit, P. 49

(٦) حسن محمد جوهر: السودان، ص٢٩٠.

(٧) الفحل الفكي الطاهر: تاريخ وأصول العرب السودان، ص٣٦٠. وللمزيد، انظر أيضا عن حرفة الرعي عند قبيلة الرزيقات الشمالية تحديدا، انظر موسى آدم عبدالجليل، خلاوي دارفور، ص٦٦.

(٨) الفحل الفكي الطاهر: المصدر السابق، ص٣٦٠. ويشير التونسي إلى أن قبيلة الرزيقات كانوا أهل [illegible] خيل، وكانوا أنهم أهل ثروة، وهم يتبعون الكلأ والمروج أينما كانت (تشحيذ الأذهان: ص١٣٩)

وكان "الـزيادية" ذوي الأصل الهلالي يشتهرون بحياة البداوة في دارفور وكردفان (١)، وكانت الأودية الشمالية الواقعة في هذين الإقليمين تمتلأ من إبل جماعات هذه القبيلة (٢)، كما زادت ثروات الزيادية وخاصة بفضل إقبالهم على حرفة الـرعي، وكذلـك تربية الخيول (٣). وعلى هذا اشتهر الزيادية الذين استقروا في إقليم دارفور بأنهم قبيلة كبيرة، وذلـك إلى الحد الذي يقال إن أعدادهم كانت لاتكاد تُحصى من كثرتهـا (٤). كما عملت جماعات أخرى يرجع نسبها لـ"قبائل عكرمة"، أو "هوازن"، حسب ما اشتهروا بهذه التسمية في سودان وادي النيل، بـ"الرعي"، ومن المعروف أن "مجموعة عكرمة" ينتسب إليهـا بنوهلال، ومن تلك القبائل المعروفة قبيلة "ثقيف"، وكانوا استقروا في سودان وادي النيل، وكانت منهم جماعات تُعرف بـ"الموسيين" (٥).

واشتهر هؤلاء "الموسيون" بحرفة الرعي، وكانوا يعيشون حياة البداوة في المناطق التي استقروا بهـا، وهو ما يتوافق مع طبيعتهم منذ كان أجدادهم من أقارب بني هلال يسكنون موطنهم الأول بـ"جزيرة العرب" (٦). كما تميزت جماعات "البولالا" هي الأخرى بـ"الحياة البدوية"، وتلك الجماعات العربية الأصل ينتسبون في الغالب إلى قبيلة بني هلال، وكان "البولالا" يعملون بالرعي، ولهذا يُوصفون بأنهم من "القبائل الرعوية البدوية" (٧). كما يصفهم البعضُ بأنهم "شعب رعوي جاء من الصحراء" (٨)، وهو ما يشير لاعتماد شعب البولالا على حرفة الرعي أكثر من غيره من النشاطات الاقتصادية الأخرى.

(1) Macmichael: Kordofan, Op. Cit. P. 137

(2) Ibid, P. 137

(3) Ibid, P. 137

(٤) التونسي: تشحيذ الأذهان، ص١٣٩.

(٥) الموسيون: حسب الوثائق المحلية السودانية، فإنهم من نسل رجل يدعى "موسى بن سعيد الثقفي"، وهو ينتسب لفرع من قبيلة "ثقيف" العربية، كانوا قد سكنوا سودان وادي النيل على الراجح بعد الفتح العربي لمصر. وتنتسب ثقيف لمجموعة هوازن أو عكرمة التي ينتسب لها بنوهلال (انظر مخطوطة أحمد بن الفكي معروف: ماكمايكل: جـ٢، ص٢٤٩-٣٥٠). ومن هوازن أيضا التي ينتسب اليها بنوهلال: بنوسليم، وكان بنوسليم يحترفون رعي البقر، ولهذا أطلق على جماعات منهم: بقارة بني سليم، تقول مخطوطة تاريخ ملوك السودان:"وهم الكبابيش وفزارة وقبائل بقارة بنوسليم وغيرهم والأحامدة من القبائل الموجودة ببلاد السودان.." (مجهول: مخطوطة تاريخ ملوك السودان وأقاليمه، ورقة رقم ١١).

(٦) مخطوطة أحمد بن الفكي معروف: ماكمايكل: جـ٢، ص٢٤٩-٣٥٠. انظر ملحق رقم٥٤، ص٢٨٢.

(7) Roland Oliver: A Short History of Africa, Op. Cit., P. 116

(8)A History of West Africa: Op. Cit. P.33

WIlie F. Fage: Encyclopedia of African History & Culture (African Kingdoms), Vol II, P. 37

ويوجد عددٌ من الـوثائق المحلية **Local Documents** تتحدثُ عن بعض مظاهر النشاط الاقتصادي التي كانت ترتبط بحكام دارفور خاصة ما يرتبط منها بالرعي في هذه السلطنة الهلالية، لاسيما ما يختص بالمنتجات التي يتم الحصول عليها من خلال العمل بالرعي وتربية الحيوانات (١). وتُظهر بعض هذه الوثائق المُهمة جانباً مهماً من جوانب النشاط الاقتصادي في السلطنة الإسلامية، ولعل من أهمها على سبيل المثال: **(وثيقـة باسم أحد سلاطين دارفور)**، وتتحدث تلك الوثيقة عن الحصول على الكميات من ألبان الإبل (٢).

وتُشير تلك الـوثيقة التاريخية بشكلٍ أو بآخرٍ إلى أهمية حرف رعي الإبل، حيث كانت تُعد مصدراً رئيساً للحصول على الألبان للسكان في إقليم دارفور، كما أن الـوثيقة تُشير ربما إلى وفرة منتجات الألبان، وكذلـك رغبة بعض سلاطين دارفور في الحصول على ألبان الإبل، ومن ثم تظهر تلك الـوثيقة الآنفة الذكر أيضاً أهمية حرفة الـرعي في توفير احتياجات السكان المحليين في سلطنة دارفور الإسلامية من أجل الحصول على ذلـك المنتج المُهم لحياة السكان. ويمكن القولُ بأن ارتباط جماعات وبطون بني هـلال بحرفة "الـرعي" كان ارتباطاً واضحاً في العديد من المناطق التي استقروا بها في أقاليم حوض النيل الأوسط، وأن هذه الحرفة كانت ربما تُشكل مصدر ثقل اقتصادي لجماعات وبطون بني هـلال الذين سكنوا في هذه البلاد.

ويَجدرُ بنا القول بأن ما أوردناه آنفـاً يُشير أيضاً الى مدى الثراء الذي بلغته العديد من الجماعات الهلالية في سودان وادي النيل، ومن ثم إدراك الدور المهم الذي قامت به "الجماعات الهلالية" في نمو حركة النشاط الاقتصادي بشتى أشكاله، لاسيما ما يرتبط منها بالرعي، وكذلـك تربية الحيوانات، ومايعتمد على تلك الحرف من أنماط الصناعات والحرف خاصة من جانب

---

(1) R. S. O' fahey: Darfur historical documents, university of Bergen, Bergen, 2006, P. DF 46. 7I19, P. 24

(2) Ibid, P. 24

جماعات الـزَّيادية، والرُزيقات، والبولالا...الخ (١). وكان من الطبيعي مع هذا السياق التاريخي أن تصف المصادرُ والروايات السودانية عدداً من الجماعات والبُطون ذوي الأصل الهلالي، "بأن لها كيان وعظمة" (٢). وهو ما يُشير إلى رخاء وثراء الجماعات والبطون الهلالية في شتى أقاليم حوض النيل الأوسط.

٢- النشاط الزراعي:

عمل بنوهلال بحرفة الـزراعة على غرار أندادهم من الجماعات والبطون العربية الأُخرى التي استقرت في حوض النيل الأوسط، وحسب بعض الإشارات كانت الزراعة من الحرف التي كان يعملُ بها بنوهلال حيثما استقروا في البلاد (٣). ويؤيد تلك الفرضية أن ابن حوقل (**ت: ٣٥٠هـ/٩٦١م**) يقول عن الهلاليين ممن سكنوا "واحات مصر" غير بعيدٍ عن إقليم دارفور: "وبالواحات من بني هلال عدةٌ غزيرة، وأُممٌ كثيرة، وهي مصيفهم وقت الغلة، وميرتهم منها..." (٤). ولعل هذه تُعد من أقدم الإشارات التي وردت في المصادر التاريخية الخاصة بعمل الهلاليين بـ"النشاط الزراعي"، وذلـك منذ حقبة تاريخية مبكرة، وهو ما يُشير إلى ميل جماعات بني هلال إلى الزراعة، واعتمادهم على هذه الحرفة في حياتهم، فمنها يأخذون الميرة والطعام.

---

(١) الفحل الفكي الطاهر: تاريخ وأصول العرب السودان، ص٣٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤٨

(٣) وللمزيد عن عمل الجماعات والبطون الهلالية بحرفة الـزراعة، انظر روايـة المؤرخ ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٥٣، ويقول جوستاف ناختيقال عن سكان اقليم دارفور وكان أكثرهم من قبيلة بني هـلال: "وكان السكان يشتغلون بالزرع على (جبل) طرة..." (جـ. ناختقال: سلطنة دارفور، ص٦٣). وللمزيد عن الزراعة، انظر التونسي: تشحيذ الأذهـان (ملحق الكتاب)، ص٤١٢.

(٤) كما يقول ابن حوقل: "وليس بجميع الواحات حمام ولا فندق يسكنه الطارىء والقادم إليهـا. وإذا قدم التجار والـزُوار على آل عبدون أنزلوهم أين كانوا من قرارهم ولزمتهم الأنزال، ودرت عليهم الضيافات الى حين رحيلهم، وعندهم بجميع نواحيهم المطاحن بالإبل والبقر، وقلما يمطرون..." (صورة الأرض، ص١٥٣). وانظر أيضاً الفحل الفكي الطـاهر: تاريخ وأصول العرب بالسودان، ص١٢٨.

ويرى الباحثُ أن هؤلاء المزارعين الهلاليين كانوا في طريقهم إلى إقليم دارفور عبر طريق "درب الربعين"، ثم توقفوا لمدة غير معلومة بالواحات التي تعد من المحطات المهمة لذلك الطريق التجاري. ويصف البعضُ جماعات بني هلال في سودان وادي النيل بأن "لهم سكن ومزارع" (١). ومن المعروف أن النشاط الزراعي يتوافق أيضاً مع طبيعة الجماعات العربية عامة لاسيما إذا توافرت لهم التُربة الخصبة، ومصادر المياه (٢). ويُمكن القول بأن السكان المحليين في دارفور وكان أكثرهم من بني هلال يُقبلون على العمل بالزراعة للحصول على ما يحتاجون إليه من الطعام (٣).

٣- التجارة:

أسهم بنوهلال بدورٍ لايُغفل في الحركة التجارية في سودان وادي النيل، فالهلاليون مثل غيرهم من القبائل العربية كانوا بصفة عامة يميلون إلى العمل بـ"التجارة"، ومن المعروف أن العرب كانوا يشتهرون دوماً بتنظيم القوافل التجارية

---

(١) الفحل الفكي الطاهر: تاريخ وأصول العرب بالسودان، ص١٢٨.

(٢) ويشير ابن حوقل إلى بعض الجماعات الهلالية كانت تسكن الصحراء في الواحات وإن لم يُحدد الموقع بشكل واضح. يعملون بالزراعة، ويعتمدون عليها في ايجاد ما يحتاجون له من الطعام. والمعروف أن الواحات تقع بالقرب من حدود مصر والسودان، خاصة واحات الخارجة والجلف الكبير. (وللمزيد، انظر ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٥٣).

(٣) ناختيقال: سلطنة دارفور، ص٦٣. ومن المعروف أن دارفور حيث سكنت أكثر جماعات بني هلال كان يشتهر بزراعة الخضروات لاسيما البطيخ، وهو يتميز بأنه ذا حجم صغير (وللمزيد، انظر=

وكانت سطوح "جبل مَرة" في إقليم دارفور من أهم المناطق التي يقوم السكان بزراعتها(١)، لاسيما وأن ارتفاع هذا الجبل يبلغ حوالي عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر، ومع وفرة سقوط الأمطار، وهو ما أدى إلى إقبال السكان المحليين القاطنين على هذا الجبل على العمل بالزراعة، ومن ثم انتشار الغابات والمساحات الخضراء هناك (٢).

براهيم حسين محمد علي: الممالك والمشيخات العربية في سودان وادي النيل في القرن السادس عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٨٧.

في كل البلاد التي استقروا بها (١). ومن أدلة ارتباط الهلاليين بالتجارة في سودان وادي النيل أن اسم التُنجور (الهلاليين) الذي اشتهروا به في حوض النيل الأوسط مأخوذ في الغالب من لفظ التُجَّار (٢). وهذا الأمر يُعضد الاعتقاد الذائع بأن هؤلاء التُنجور كانوا قد احترفوا العمل بالتجارة في سودان وادي النيل. ومن الراجح أن جماعات من التنجور جاءوا في الغالب مهاجرين ضمن بعض القوافل التجارية التي قدمت من الشمال إلى هذه البلاد. كما أن طريق "درب الأربعين" لعب هو الآخر دوراً مُهماً في الربط التجاري البري بين سلطنة دارفور من ناحية، وبين أسواق مصر من ناحية أخرى (٣). وظل هذا الطريق التُجاري معبراً رئيساً للقوافل التجارية القادمة من مصر إلى دارفور (٤). وكان التونسي (**١٧٨٩-١٨٥٧م**) قد رافق إحدى القوافل القادمة من مصر إلى دارفور عبر "درب الأربعين".

وارتبط السكان المحليون في دارفور بعلاقات تجارية مع العديد من التُجار الأجانب، سواءً أولئك القادمين من أوروبا خاصة التجار البنادقة، هذا إضافة إلى التجار الآخرين القادمين من أسواق آسيا، مثل التجار الهنود، وتجار الكارم (١)، حيث عثر على بضائع لبعض التجار الأجانب في "عين فرح" شمال دارفور، وهي تؤرخ إلى القرنين (**٩-١٠هـ/١٥-١٦م**) (٢).

---

(١) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص٢١٠. وانظر التونسي: تشحيذ الأذهان، ص٤١٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠٩-٢١٠. مصطفى مسعد: سلطنة دارفور، ص١٦.

(٣) عبدالنعيم ضيفي عثمان: الأزهر ودوره في الممالك الإسلامية في أفريقيا، ص٦٢، وللمزيد عن أهمية "درب الأربعين" في التجارة بين الأسواق في مصر وسودان وادي النيل، انظر الفصل الثاني من هذه الأطروحة، ص٦٢-٦٦. وانظر أيضا مصطفى مسعد: سلطنة دارفور، ص١٦.

(٤) التونسي: تشحيذ الأذهان، ص٣٨٢، وانظر شوقي عطاالله الجمل: تاريخ سودان وادي النيل، ص٢٦١، حسن ابراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص١٢. وللمزيد، انظر أيضاً:

Werner Pichler: The Lybica – Berber Inscriptions in Selima Oasis, P. 173.

(٥) إبراهيم إسحاق إبراهيم: هجرات الهلاليين، ص١٧١. وتبعد مدينة عين فرح حوالي ٨٠ ميلا شمال غرب مدينة الفاشر عاصمة إقليم دارفور. وللمزيد، انظر:

A. Mcgregor: Monuments of Jebel Marra. P. 111

(٦) إبراهيم إسحاق إبراهيم: المرجع السابق، ص١٧١، رجب عبدالحليم: دارفور، ص٢٠٩-٢١٠.

ويبدو أن ازدهار الحركة التجارية في ذلك الوقت كان أمراً جلياً، وهو ما يمكن أن نلحظه من خلال قدوم هجرات بني هلال مرافقة للقوافل التجارة القادمة إلى سودان وادي النيل، كما أن إقليم دارفور كان يُعد في ذات الوقت معبراً للقوافل التجارية القادمة من أسواق بلاد السودان الغربي، وكذلك السودان الأوسط، وكذا القوافل القادمة عبر نهر النيل، أو تلك القادمة عبر طريق "درب الأربعين" وهو الطريق الذي يبدأ من مدينة أسيوط بمصر الوسطى(١). كما ازدهرت حركة التجارة من جانب آخر بين دارفور وكردفان، وكذلك مع سكان واداي وبحر الغزال (٢).

وكان دارفور أيضاً معبراً مهما للقوافل التجارية القادمة من الشمال عبر "طريق- طرابلس" الذي كان يبدؤه التجار من طرابلس، ثم يعبرون فزان، ثم كانت القوافل تتجه جنوباً لدارفور (٣)، كما كان إقليم دارفور مقصداً للقوافل القادمة عبر "طريق–تونس" (٤). ويرى الباحثُ أن هذا الطريق كان من أهم الطرق التي جلبت المهاجرين الهلاليين إلى سُودان وادي النيل، وفي الغالب كانوا مرافقين للقوافل التجارية القادمة من إفريقية وبلاد المغرب. واشتُهر التجار في سلطنة دارفور بـ"الجَلاّبة"، وهو اسم كان يطلق على التُجار، وعلى هذا كان لتجار دارفور علاقات تجارية مع شتى أسواق الممالك المحيطة بهم، ومنها الأسواق المصرية، وأسواق بلاد السودان الأوسط مثل الكانم والبرنو، وكذا أسواق السودان الغربي (٥).

---

(١) وللمزيد عن الطرق التجارية التي ربطت بين سودان وادي النيل وما يجاورها من الممالك، انظر الفصل الأول من هذه الدراسة، ص٥٤، وانظر أيضاً رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص٢١٠.

(٢) التونسي: تشحيذ الأذهان (ملحق الكتاب)، ص٤١٢.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٥٣، وانظر مصطفى مسعد: امتداد الإسلام والعروبة، ص٧٦.

(٤) عبدالنعيم ضيفي: الأزهر ودوره في الممالك الإسلامية، ص٦١، موسى آدم: خلاوي دارفور، ص٦٧.

(٥) إبراهيم إسحاق ابراهيم: هجرات الهلاليين، ص١٧١.

٤- الحِدادةُ والأسلحةُ المعدنية:

اهتم السكان في سُودان وادي النيل بالصناعات المعدنية في مختلف النشاطات الحرفية والاقتصادية، حيث استخدموا صنوفاً من المعادن لاسيما النحاس (١)، وكان إقليم دارفور يشتهر بوجود معدن النحاس، ويبدو ذلك من خلال اشتهار إحدى المناطق التي توجد في الإقليم باسم: "حُفرة النُحاس" (٢)، وهو ما يُشير على أية حال لوفرة ذلك المعدن بهذا الإقليم. كما كان يوجد الحديد، ويبدو انتشار صناعات الحديد من خلال تلقُب بعض حكام دارفور بـ"سلطان الحدادين"(٣). وهو ما يؤكد انتشار حرفة "الحدادة" في تلك "السلطنة الهلالية"، وكثرة استخدام الحديد، واهتمام السلاطين بهذه الحرفة، وبطبقة "الحدادين" بوجه خاص.

وعمل الهلاليون في إقليم دارفور وغيره من أقاليم سودان وادي النيل بعمل آلات الحروب وذلك الأسلحة المصنوعة من المعدن لمقاومة الأعداء، كما أبدى سكان دارفور اهتماماً بصناعة الأسلحة التي كانوا يحتاجون إليها بشتى أشكالها، ومن أهم منتجات تلك الأسلحة المعدنية: الدروع المعدنية (٤). ويدل على ذلك أن مدينة "أوري" عاصمة التنجور الهلاليين كانت تشتهر بصهر الحديد والنحاس والقصدير، وكذلك تصنيع هذه المعادن (٥). وكان الصناع في أوري يتسمون بالمهارة والإتقان لاسيما فيما يخص الصناعات المعدنية (٦).

ويشير بعضُ الرحالة الأوروبيين ممن قاموا بزيارة سلطنة دارفور الهلالية في رواياتهم أن "طبقة العبيد" في هذا الإقليم كانوا يشتهرون بصناعة هذا النوع من

---

(١) ناختيقال: سلطنة دارفور، ص١٢٧، وانظر التونسي: تشحيذ الأذهان(الملحق)، ص٤١٢ .

(٢) ناختيقال: المرجع السابق، ١٢٧.

(3)R. S. O' fahey: Darfur Historical Documents, P. 10

(٤) ناختيقال: سلطنة دارفور، ص٦٣.

(٥) أحمد عبدالقادر أرباب: تاريخ دارفور عبر العصور، جـ١، ص٥١

(٦) المرجع السابق، ص٥١

الأسلحة المعدنية (١)، ولاريب فيه أن اهتمام السلاطين في سلطنة دارفور، وفي غيرها من الممالك والسلطنات الإسلامية الأخرى التي ظهرت فيما يرى الباحث في مناطق حوض النيل الأوسط، مثل سلطنة المسبعات التي قامت في إقليم كردفان بعمل كل ما من شأنه تأمين تخوم بلادهم ضد أية اعتداءات خارجية قد تأتي من جانب بعض الشعوب الأخرى.

٥- حرفةُ البِناء:

شَهِدتْ حرفةُ البناءِ في سودان وادي النيل تطوراً إبان عصر سلطنة دارفور الهلالية وغيرها من سلطنات سودان وادي النيل. ويبدو ذلك من خلال ما ورد عن المنشآت التي كشف عنها، مثل: البيوت، والقصور، وكذلك الأسوار، وغيرها (٢). كما يظهر ذلك من خلال التنقيبات الأثرية التي كشفت عن العديد من المباني القديمة ذات الأشكال، والطُرُز المتنوعة، وكان من أهم تلك الاكتشافات الأثرية أطلال المباني التي كُشف عنها في المواقع الأثرية في دارفور (٣). وتم الكشف عن العديد من البيوت والمنازل في منطقة "عين فرح" **Ain Farah** ، وغيرها من مدن هذا الإقليم والتي يؤرخها ثُلة من العلماء إلى عصر التُنجور الهلاليين (٤). ويرى البعضُ أن تلك المنشآت كانت في الغالب قصوراً ملكية لحكام دارفور، بينما يذهب آخرون إلى أن هذه الأطلال الأثرية القديمة لم تكن على هذا النحو الذي يراه أصحاب "الرأي الأول"، بل إنها كانت منشآت ذات طابع ديني، وأنها أطلال بعض المساجد وبيوت العبادة (٥). ومن المعروف أن سُليمان سولونج لما وجد أن بلاده كانت تقل بها المساجد، اهتم ببناء المساجد في شتى أرجاء السلطنة، حتى صارت صلاة الجُمعة تنتشر في عموم البلاد(٦).

---

(١) ناختيقال: سلطنة دارفور، ص٣٦.

(٢) مصطفى مسعد: سلطنة دارفور، ص٧١.

(3) Arkell: The Medieval History of Darfur & Nioltic Sudan, P. 45
وانظر أحمد عدالقادر أرباب: تاريخ دارفور، جـ ا، ص١٥.

(4) Arkell: Op. Cit., P. 45

(5) Ibid, P. 45

(6) Y. Takana; Darfur, p. 11

ويُشير بعض العلماء إلى أن أقدم مسجد عُثر عليه في منطقة عين فرح يرجع إلى القرن **٧هـ/١٣م** (١). وربما يُشير ذلك بشكلٍ أو بآخر إلى حدوث ما يمكن أن يكون طفرة معمارية أيام هذا السلطان ذي الأصل الهلالي، ويؤيد ذلك ازدهار البناء في ذلك الوقت مُقارنة بما كان عليه الحال قبل أيامه. ومن المعروف أن سلاطين دارفور توسعوا بشكل كبير في استخدام الطوب الأحمر في البناء، وفي إقامة منشآتهم المعمارية، ويدل على ذلك الكشف عن العديد من الأطلال، والمباني حيث عثر العلماء على بقايا وأطلال لعدد من القصور الملكية، وكذلك البيوت الخاصة بالأمراء، وكبار رجال البلاط (٢).

ومن جانب آخر اهتم حكام التنجور وهم من ذوي الأصل الهلالي بإقامة عدد من المدن والحواضر في إقليم دارفور، ففي بداية أمرهم اتخذ التنجور (الهلاليين) عاصمة لحكمهم في مدينة تعرف باسم "ماسة" **Masa**، وهي تقعُ بين بلدة "كتوم" **kutum** ومدينة "الفاشر" في إقليم دارفور (٣). ثم انتقل حكام التنجور بعد ذلك إلى مدينة جديدة تدعى: "أوري" **Uri** (٤). وهو ما يُشير إلى اهتمام السلاطين الهلاليين في إقليم دارفور عبر الحقب المتعاقبة بإقامة المدن والحواضر الجديدة، وهو ما يعني ازدهار البناء في ذلك الوقت. ولعل من أهم مظاهر المنشآت والعمارة أيضاً أن مدينة "أوري" كانت تُحيط بها الأسوار المُشَّيدة من الحجارة، وكانت هذه الأسوار تتميز في ذات الوقت باتساعها، وكانت العديد من المنشآت

---

(1) Intissar Soghroun el – Zein: The Archaeology of the Early Islamic Period , P. 32

(٢) نعوم شقير: تاريخ السودان، ص١٥٦. مصطفى مسعد: سلطنة دارفور، ص١٧.

(3) A. J. Arkell: Medieval History of Darfur in its Relationship to other Cultures & the Nioltic Sudan, P. 45

(4) Arkell: History of Darfur, p. 274

أوري: هي مدينة تقع في اقليم دارفور، وأوري توجد على بعد حوالي عشرين ميلاً شمال مدينة عين فرح (انظر أحمد عبدالقادر أرباب: تاريخ دارفور، جـ١، ص٥١). وللمزيد عن مدينة أوري، انظر مصطفى مسعد: سلطنة دارفور، ص١٧.

بمدينة أوري تخُصُ الحكام والسلاطين (١)، لاسيما سلاطين "أسرة كيرا" من ذوي الأصل الهلالي. بينما يشير جـي. آركل **Arkell** إلى أن العديد من المواقع الأثرية التي تم الكشف عنها تنتمي بشكل تقليدي إلى عصر سلاطين التنجور الهلاليين (٢).

ولعل من أهم المبانـي الأُخرى التي كُشف عنها في إقليم دارفـور تلك التي تم الكشف عنها في منطقة "جبل فوجـا" **Jebel Foga** حيث كشف الأثريون عن أطـلال مبانٍ، كان يُطلقُ عليه العامة "منزل (السلطان) دالي" **House of Dali** (٣). وإضافـة إلى ذلـك تم العُثور على "مجموعة منشآت ملكية" **Royal Compound**، وكان يُطلق عليهـا باللغة المحلية اسم: "تونج كوري" **Tong Kori**، وهذه المجموعة المعمارية كانت تُنسب على الـراجح إلى السلطان الهلالـي أحمد كورو، وهو ابن السلطان صـابون بن السلطان دالـي (٤).

وكشف الأثريون أيضاً عند الأطراف الشمالية لـ"جبل نامي" **Jebel Nami** عن مجموعة معمارية ملكية أخرى تُنسبُ لكل من السلطان الهلالي سُليمان سولونج، وابنه السلطان موسى الـذي ارتقى العرش بعد أبيه (٥). ومن المعروف أن مدينة ماسة على سبيل المثال كانت من أقدم المدن في إقليم دارفور، وقد شيدت قبل كل من مدن أوري وكوسـي، وكان يُطلق على هذه المدينة: "بيت السلطان شاو" (٦)، ويرى الباحثُ أن المقصود بهذا السلطان "شاو– دورشيت" الذي ورد اسمه في الروايات المحلية، وربما سبب هذه التسمية الآنفة لأن السلطان "شاو" هو من جعل مدينة "ماسة" عاصمة لمملكته، أو ربما لـوجود العديد من المباني والمنشآت الأخرى التي تم الكشف عنها هناك ترجع إلى أيام هذه السلطان.

---

(1) Arkell: The Medieval History of Darfur & Nioltic Sudan, P. 45

وللمزيد أيضاً انظر أحمد عبدالقادر أرباب: تاريخ دارفور، جـ١، ص٥١.

(2) Ibid, P. 45

(3) Arkell: History of Darfur, p. 274

(4) Ibid, P. 274

(5) Arkell: History of Darfur, p. 274

(6) A. J. Arkell: Medieval History of Darfur in its Relationship to other Cultures & the Nioltic Sudan, P. 46

وكان سكان دارفور يستخدمون في كثير من الأحيان قوالب "الطوب الأحمر" **Brick Red** لتشييد مبانيهم، ومنشآتهم، ويبدو ذلك واضحاً في مدينة "أوري" (١). ويذهب البعضُ من جانب آخر إلى أن العمارة في مدينة "عين فرح" على سبيل المثال كانت متأثرة بشكل أو بآخر ببعض مظاهر العمارة التي برزت في ممالك النوبة المسيحية لاسيما مملكتي: عُلوة والمقُرة (٢)، وهو أمر لاغرابة فيه، وذلك بسبب التقارب الجُغرافي والحضاري بين كل منهم. وعُثر أيضاً على منشآت معمارية أُخرى في دارفور خلال مرحلة الكشوف الأوروبية، ولعل منها أطلال القصور الملكية التي عُثر عليها هناك، ومن أشهر هذه المنشآت أحد القصور مشيد بالطوب الأحمر، ويُعتقد أنه يرجع إلى أيام السلطان دالي (٣).

وتم الكشف أيضاً عن أطلال أحد المساجد القديمة، والذي يؤرخه البعض إلى حوالي القرن **١٠هـ/١٦م** في مدينة "عين فرح"، وهذا المسجد يُنسب تشييده إلى أحد الحكام من سلاطين دارفور (٤). ولاشك أن ذلك يُشير بشكلٍ أو بآخر إلى ازدهار حرفة البناء أيام سلاطين التنجور ذوي الأصل الهلالي، ثم استمر ذلك الازدهار المعماري وبشكل أكبر من بعدهم لاسيما خلال حكم سلاطين "أسرة كيرا" ذات الأصل الهلالي هي الأخرى.

٦- الصناعاتُ الخَشَبيةُ:

اشتُهر بنوهلال، وبطونهم، ومنهم الرُزيقات بالإقبال على العمل بالحرف والصناعات التي تعتمد على استخدام المواد الخشبية، ولعل من أهمها حرفة النِجارة، وكذلك صناعة الأثاث (٥). وتُعد الصناعات الخشبية من بين الصناعات الحيوية

---

(١) أرباب: تاريخ دارفور، جـ١، ص٥١.

(2) P. 45 , A. J. Arkell: Medieval History of Darfur

(3) Arkell: History of Darfur, P. 274

(4) Ibid, P. 274

(٥) يشير المؤرخون الى أن عامة سكان دارفور كانوا يرجعون أنسابهم الأولى لأبي زيد الهلالي، وهو "البطل الهلالي" الذي كان قد نال شهرة كبيرة لاسيما في تونس (أفريقية)، وفي بلاد المغرب، وسودان وادي النيل، ومصر..الخ (انظر التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان (ملحق الكتاب)، ص٣٦٩،). يقول التونسي عن جماعات الرزيقات الهلاليين: "وهم أهل بقر وخيل، وأثاث، وأكثرهم ثروة لا يألفون الحاضرة، ويتبعون الكلأ.." (التونسي: تشحيذ الأذهان، ص١٣). انظر أيضاً التونسي: ملحق ص٤١٢.

لأي مجتمع بشري. ومن المعروف أن المظاهر الطبيعية التي تتمتع بها أقاليم سودان وادي النيل، وكذلك نوعية التُربة الخِصبة الموجودة هناك، هذا إضافة إلى وفرة مصادر المياه، وتنوعها سواء من الأمطار، أم من مياه العيون، والآبار الجوفية، كلُ تلك العوامل ساعدت بالطبع على كثرة وجود المراعي، وانتشار المروج، وكذلك "وفرة الغابات" في مناطق سودان وادي النيل (١).

وساهم ذلك التنوع الطبيعي في زيادة الموارد الطبيعية في أكثر المناطق في هذه البلاد لاسيما وفرة الأخشاب، وهو ما أدى إلى تشجيع بعض الجماعات العربية، ومنهم بنوهلال، على العمل في الحرف التي تدخل فيها المواد الخشبية كمادة أساسية، ومنها صناعة الآثاث، وكذا استخدام القطع الخشبية في تأسيس البيوت، والقصور، وما يلزم فيها من صنوف الأخشاب التي تستخدم في عمل السقوف، وكذلك صناعة الأبواب، والنوافذ، وغيرها (٢).

ومن مظاهر وفرة الأخشاب في إقليم دارفور وجود وثائق باسم "سلاطين دارفور" تتحدث عن الحصول على كميات من الأخشاب (٣). ويبدو تطور الصناعات الخشبية واضحاً من خلال العثور على أطلال العديد من البيوت، وكذا قصور الحكام الهلاليين، والأمراء لاسيما في إقليم دارفور التي كان الخشب مادة مهمة في تشييدها (٤).

---

(١) وعن جغرافية سودان وادي النيل، وتوافر مصادر المياه وخصوبة التربة، ومدى ملائمتها لنمو الغابات والأشجار ذات الحجم الضخم، انظر: Macmichael: Kordofan, P. 1

ناختيقال: سلطنة دارفور، ص١٢٧، رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص١٦-١٨.

(٢) وللمزيد عن اكتشافات البيوت والمنازل في أطلال مدن ومواقع دارفور، انظر: نعوم شقير: تاريخ السودان، ص١٥٦، انظر أرباب: تاريخ دارفور، جـ١، ص٢١. وللمزيد، انظر أيضاً:

A. J. Arkell: Medieval History of Darfur in its Relationship to other Cultures & the Nioltic Sudan, P. 46

(3)R. S. O' fahey: Darfur historical documents, P. 21

(٤) التونسي: تشحيذ الأذهان، ص٢٩٢.

٧- حرفةُ الصيد (البَريّ):

اشتهر سكانُ سودان وادي النيل بصفة عامة بحرفة "الصيد البري"، وهي من الحرف التي لايمكن الاستغناء عنها في مثل هذه المجتمعات التي تطغى عليها حياة البداوة، ولاسيما وأن "الصيد البري" يُساهم في سد جانبٍ كبير من احتياجات السكان المحليين، ومنها الطعام، وكذلك يساهم الصيد البري في تقديم مواد أولية للصناعات الأخرى، مثل: الدباغة، وصناعة الأحذية مثل جلود الحيوانات. وقد برز "الصيد البري" بشكل واضح في إقليم دارفور خاصة بين أعراب البادية، وهناك حيث سكنت العديدُ من بطون بني هلال خاصة وأنهم كانوا يهتمون بصيد الحيوانات البرية، ومن أهمها الزراف، والنعام، والغزلان، وغيرها (١).

ومن بين هذه الجماعات ذات "الأصل الهلالي" التي اشتهرت بالصيد البريّ "الزيادية"، وكانوا يقومون بـ"صيد الخيول"، ولهذا يُقال حسب بعض الروايات عن أفراد هذه القبيلة: "وكان أكثرهم صيداً أسبقهم جواداً..." (٢). ومن ناحية أخرى يُشير بعضُ الرحالة الذين زاروا إقليم دارفور إلى أن أعراب البادية بصفة عامة ومنهم بنوهلال، كانوا مُنعمين فيما يشتهون، وكانوا لايحتاجون في حياتهم إلا إلى الدخن، والأطعمة من الذرة، وكانوا يشترون ما يحتاجون إليه من ذلك، وبما يزيد عن كفايتهم من الأطعمة المأخوذة من الحيوانات، إضافة إلى الحصول على جلود

---

(١) ناختيقال: سلطنة دارفور، ص١٢٥. وانظر أيضاً التونسي: تشحيذ الأذهان، ص٢٩٢.

(٢) التونسي: تشحيذ الأذهان، ص٢٩٢، ويذكر التونسي أيضاً أن الأعراب في إقليم دارفور كانوا يحصلون على السمن من النعام التي كانوا يصيدونها، أما العسل فكانوا يحصلون عليه من الأشجار لأن النحل يعشش فيها، ولأن الصيد عندهم كثير ووفير، فلم يكن لريش النعام عندهم قيمة كبيرة، وكذلك قرن الخرتيت. وكانت أعراب البادية إذا رأى الصيد وتبعه لايقفوا أثره، بل يباريه حتى يحاذيه، وإذا تمكن من الفريسة كان يعقرها، أما صيد النعام ولأنه حيوان سريع جدًا، فكان يوجد من يلحق به، أما الزراف فلايكاد يلحقه في العدو فرس، ولم يكن يلحقه إلا الفرس. وكان أعراب دارفور يأكلون لحم الزراف طريا قديدا، وكانوا يبيعون جلودها في حوانيتهم. وكان العرب يأكلون الأرز، والدفرة، والكوريب، والتمر الهندي، والعسل، وغير ذلك من صنوف الطعام. أما اللبن فلا قيمة له عندهم نظر لوفرته، وكانوا يحصلون على السمن منه ثم يرمون رأئبه حتى من قدم الى أحياء العرب هناك خاصة الرزيقات الهلاليين يجد الغدران والبرك القريبة منهم كلها لبنا (تشحيذ الأذهان: ص٢٩٣-٢٩٥).

الحيوانات التي كانوا يحصلون عليها من خلال صيد "الحيوانات البرية"، إضافة إلى غيرها من صنوف الحيوانات الأخرى التي كانوا يقومون برعايتها وتربيتها، مثل: الإبل، والأبقار، وكذلك الخيول..الخ (١).

٨- الدِبَاغةُ والصناعاتُ الجِلدية:

أدى اهتمام بُطون بني هلال في مناطق سُودان وادي النيل بـ"الرعي" على وجه الخصوص إلى زيادة إقبالهم على اقتناء الحيوانات والماشية بشتى أنواعها، ومن ثم صار هؤلاء الرعاة الهلاليون من أغنى الجماعات والبطون العربية في سودان وادي النيل ثراء بالحيوانات والمواشي (٢). وقد أدى ذلك بشكلٍ أو بآخر فيما يرى الباحثُ إلى ازدهار الحرف والصناعات التي تعتمد على جلود الحيوانات خاصة، وأبرزها: "دبغ الجلود، وكذلك صناعة الأحذية، وغيرها، وإن لم يبلغ حرفيو سودان وادي النيل اتقانهم لتلك الصناعات مابلغته مصر وبلاد المغرب من ازدهار. وعلى أية حال كانت الجلود تُستخدم في صناعة القِرَب، والأوعية الجلدية التي كان يُحفظ فيها صنوف الطعام، مثل: السمن والعسل (٣).

---

(١) التونسي: ص٢٩٣. وللمزيد عن ثراء الجماعات الهلالية بتربية الماشية والإبل، وكذلك الكباش، وتربية شتى صنوف الحيوانات الأخرى في إقليم دارفور، انظر
Y. Katana; Darfur, P. 10

(٢) التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، ص٢٩٣-٢٩٤. وللمزيد أيضا، انظر التونسي: المصدر السابق (ملحق هذا الكتاب)، ص٤١٢، وانظر نعوم شقير: تاريخ السودان، جـ٢، ص١١١ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق، ص٢٩٣.

وكان بنو هلال كغيرهم من الجماعات العربية الأخرى التي استقرت في سودان وادي النيل لاسيما في إقليم دارفور يدفعون الضرائب، والمكوس الأخرى لسلاطين دارفور، أو من كان ينوب عنه من العمال، أو الموظفين، وكانت تلك الأموال جزء يُستقطع مما كانوا يربحونه من خلال قيامهم بالأنشطة الاقتصادية واالحرف التي يقومون بها. وقد عين حُكام دارفور موظفاً كبيراً لجمع وتحصيل الضرائب والمكوس من قبائل العرب، ومنهم بنوهلال، وكان هذا الموظف يشتهرُ باسم "أبي الجبايين". وصاحب هذه المنصب من أهم موظفي الدولة في ذلك الوقت، وكان يعمل تحت سلطته عددٌ كبيرٌ من الموظفين الصغار والمرؤوسين. وجدير بالذكر أنه كانت تنشب بعض الخلافات بين بعض القبائل وعمال

ويرى الباحثُ أن الصناعات والمنتجات الجلدية، وكذلك الحرف التي ترتبط بهـا، وكذا مدى تطورهـا وازدهارهـا في أي مجتمع من المجتمعات كان يتوافق إلى حد كبير مع طبيعة المجتمع، ومدى قوته الاقتصادية، واستقراره السياسي، ومما لاريب فيه أن مجتمعـاً كما في سودان وادي النيل كان يتسم بالبساطة في ذلـك الوقت، وكان السكان المحليون يتمتعون في مثل هذه المجتمعات بحياة بسيطة، إضافـة إلى مدى الحاجة إلى مثل هذه المنتجـات، وهو ما انعكس بدوره على بساطة المنتجات التي قاموا بهـا.

=

السلاطين فيما يرتبط بجمع الضرائب المفروضة على هذه القبائل نظير نشاطها الاقتصادي، وأوردت المصادر بعض تلك النزاعات التي قامت، ومن بينها نزاعات لجماعات من بني هـلال. (وللمزيد عن ذلك، انظر (التونسي: تشحيذ الأذهان، ص١٤٠-١٤١. وللمزيد عن صاحب منصب أبي الجبايين، انظر:

Y. Katana; Darfur, PP. 10-11

الخاتمة

- أكدت هذه الدراسةُ أن هجرات بُطون بني هلال اتجهت صوب أقاليم سُودان وادي النيل منذ بدايات القُرون الهجرية الأولى، كما أن هذه الهجرات مرت بمراحل ثلاثة، الأولى إبان حملة أبي عبدالرحمن العمري في بلاد البجة منتصف القرن **٣هـ/٩م**، بينما المرحلة الثانية: كانت إبان حملة السلطان المنصور قلاوون إلى بلاد النوبة، أما المرحلة الثالثة: فكانت في الغالب خلال القرن **٨هـ/١٤م**، وكان المُهاجرون الهلاليون قادمين خلالها من بلاد شمال أفريقيا لاسيما عبر "طريق تونس" صوب بلاد السودان الأوسط لاسيما عبر بلاد الكانم والبرنو، ومنها هاجر الهلاليون إلى آراضي إقليم دارفور، ثم إلى إقليم كردفان، ومن ثم هاجروا منه إلى باقي أقاليم هذه البلاد.
- وأشارت هذه الدراسةُ إلى أن الهلاليين قاموا بدورٍ كبيرٍ في تأسيس عدد من الممالك والسلطنات الإسلامية في مناطق سُودان وادي النيل، لعل اشهرها "سلطنة دارفور" الإسلامية التي تأسست على أيي سلاطين "أُسرة كيرا" الملكية ذات "الأصل الهلالي"، ثم قام أحد فروع هذه الأسرة الملكية بتأسيس "سلطنة المُسبعات" الإسلامية في إقليم كردفان، وكان تأسيسُ هاتين السلطنتين الهلاليتين خلال القرن ٨هـ/١٤م.
- وأكدت هذه الدراسةُ إلى جماعات وبُطون بني هلال لعبوا دوراً اقتصادياً مُهمًا في أقاليم سُودان وادي النيل لاسيما الجماعات والبطون الهلالية المعروفة، ولعل من أبرزهم: الرُزيقات، والزيادية، والتُنجُور (التُنجُر)...الخ.
- وبينت الدراسةُ أن الهلاليين مارسوا في سودان وادي النيل العديدَ من مظاهر النشاط الاقتصادي لاسيما فيما يخصُ الحرف والصناعات التي ترتبط بشكلٍ أو بآخر بحياة السكان المحليين اليومية، والتي تُسهم بدورها في سد احتياجات هؤلاء السكان، مثل: حرفة الرعي، الزراعة، حرفة الصيد لاسيما الصيد البري، وحرفة البناء، وكذلك عملوا بالتجارة، هذا بالإضافة إلى ممارسة هؤلاء الهلاليين لبعض الحرف الأُخرى التي ترتبط بالصناعات الخشبية، وكذا الصناعات المعدنية بأنماطها وأشكالها المتنوعة، وكذلك الأسلحة، كما أن الهلاليين مارسوا الصناعات التي ترتبط بالدباغة، والصناعات الجلدية...الخ.

المصادر والمراجع

أولاً– المخطوطات:

١- **أحمد بن الفكي معروف**: مخطوطة مخطوطة "ذِكر قبائل العَرَب التى سكنتْ أرض السودان (انظر متن المخطوطة ماكمايكل: تاريخ العرب في السودان، جـ٢، ص٢٧٩-٢٨٨).

٢- **الشيخ الدرديري بن محمد الخليفة** (عاش خلال النصف الثاني من القرن ١٣هـ/١٩م): مخطوطة الشيخ الدرديري بن محمد الخليفة (ماكمايكل: تاريخ العرب في السودان، جـ٢، ص١٧٦)، منسوخة عن مخطوطة أخرى ترجع إلى سنة ١٨٣٦م.

٣- **السمرقندي (أبوعبدالله حسين بن عبدالله الحسين السمرقندي**، عاش إبان القرن ١٠هـ/١٦م): مخطوطة "أنساب عرب السودان"، نسخة مصورة، ١٨٩/ ١٨/ Misc.

٤- **مجهول**: مخطوطة تاريخ ملوك السودان وأقاليمه الى حكم إسماعيل باشا خديوي مصر، عدد الأوراق: ٤٥ ورقة، نسخة مصورة، دار الكتب القومية، القاهرة، رقم ٢٥٤٧ (تاريخ).

٥– **مجهول**: مخطوطة حكام دارفور(انظر المخطوطة ناختيجال: سلطنة دارفور، ص١٢٠).

ثانياً- المصادر المنشورة:

٦- **أوليا جلبي (أوليا جلبي بن درويش محمد ظلي** (رحالة تركي)، ت بالقاهرة: **١٠٩٣هـ/١٦٨٢م**): الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش، جـ٣، ترجمة: الصفصافي أحمد القطوري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٧– **البكري (أبوعبيد البكري، ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)**: المُغرِب في ذكر بلاد إفريقية والمغرِب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.

٨- **البلاذُري (أحمد بن يحيي بن جابر**، ت: **٢٧٩هـ/٨٩٢م**): أنساب الأشراف، تحقيق: الدكتور محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.

٩- **التونسى (محمد بن عمر التونسي**، ت: **١٢٧٤هـ/١٨٥٧م**): تشحيذ الأذهان بسيرة العرب والسودان، تحقيق: الدكتور مصطفى محمد مسعد والدكتور خليل محمود عساكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التراث، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٠- **ابن جُبير (أبوالحسن محمد بن جبير الكناني الأندلسي**، ت: **٦١٤هـ/١٢١٧م**): رحلة ابن جبير، تحقيق: الدكتور محمد زينهم عزب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.

١١- **ابن حزم (أبومحمد علي بن سعيد الأندلسي**، ت: **٤٥٧هـ/١١٦٤م**): جَمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠٠٩م.

١٢- **ابن حَوقل (أبوالقاسم بن محمد النصيبي**، ت: **٣٥٠هـ/٩٦١م)**: صورة الأرض، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠٠٩م.

ابن خُلدون (عبدالرحمن بن محمد بن خالد، ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

١٣– العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعُجم والبربر، تقديم: الدكتور عُبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٤- المقدمة (المعروف باسم: مقدمة ابن خلدون)، تحقيق: الدكتور علي عبدالواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٥- **الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان**، ت: **٧٤٨هـ/١٣٤٧م)**: السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

١٦- **الزَمخشري (أبوالقاسم محمود بن عمر الخوارزمي**، ت: **٥٣٨هـ/١١٤٣م)**: الجبال والأمكنة والمياه، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٧- **السوَّيدي (أبوالفوز محمد أمين البغدادي**، ت: **٦٤٤هـ/١٢٤٦م)**: سبائكُ الذَهب في معرفةِ قبائل العرب، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٨- **العُمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيي**، ت: **٧٤٩هـ/١٣٤٨م)**: قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٥م.

١٩- **الفحل الفكي (الفحل الفكي بن الفقيه الطاهر الجعلي، ولد سنة ١٨٧٨م)**: تاريخ وأصول العرب بالسودان، تحقيق: عمر فضل الله، طبعة دار المصورات، الخرطوم، ٢٠١٥م.

القَلقشندي (أبوالعباس شهاب الدين أحمد بن علي، ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م):

٢٠– قلائد الجُمان في التعريف بعَرب قبائل الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

٢١- صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، (الأجزاء الثاني والرابع والخامس)، تقديم: دكتور فوزي أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٢- **ابن الكَلبي (أبوالمُنذِر هشام بن محمد**، ت: **٢٠٦هـ/٨٢١م)**: جَمهرة النَسبْ، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، طبعة القاهرة، ٢٠١٠م.

٢٣– **المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر، ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)**: البيان والإعراب عمن بأرض مصر من قبائل الأعراب، تحقيق: رمضان البدرى، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢٤- **ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام**، ت: **٢١٣هـ/٨٢٨م)**: السيرة النبويـة، تحقيق: وليد بن محمد سلامة، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠١م.

٢٥- **الهَمداني (الحافظ أبوبكر محمد بن أبي عثمان الحازمي**، ت: **٥٨٤هـ/١١٨٨م)**: عُجالة المُبتدي وفُضالة المُنتَهـي في النَسب، تحقيق: عبدالله كنون، مجمعُ اللغة العربية، المطابع الأميرية، القـاهرة، ١٩٦٥م.

ثالثاً- المراجع العربية والمعربة:

٢٦- **إبراهيم إسحاق إبراهيم**: هجرات الهـلاليين من جزيـرة العرب إلى شمال أفريقيـا وبلاد السودان، طبعة الخرطـوم، دون تاريخ.

٢٧- **أحمد عبدالقادر أرباب:** تاريخ دارفور عبر العصور، جـ١، جامعة الخرطوم، ١٩٩٨م.

٢٨- **آدامز، ويليام**: النوبة رواق أفريقيا، ترجمة: محجوب التيجاني، مطبعة الفاطمية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٩- **جوستاف ناختيجال**: سلطنة دارفور أقاليمها وأهلها وتاريخهم، ترجمة: النورعثمان أبكر، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، ٢٠٠٤م.

٣٠- **حسن إبراهيم حسن**: انتشار الاسلام فى القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٤م.

٣١- **حسن محمد جوهر وحسين مخلوف**:السودان وتاريخه وحياة شعبه، دار الشعب، ١٩٧٠م.

٣٢- **رجب محمد عبد الحليم:** العروبة والإسلام فى دارفور فى العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ١٩٩١م.

٣٣- **شوقي عطاالله الجمل:** تاريخ سودان وادي النيل (حضارته وعلاقاته بمصر من أقدم العصور الى الوقت الحالي) ، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٣٤-**عبدالمجيد عابدين**: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، عالم الكتب، ١٩٦١م.

٣٥- **ماكمايكل**: تاريخ العرب في السودان، ترجمة: سيد على محمد ديدان،الخرطوم، ٢٠١٣م.

٣٦ــ **مصطفى مسعد**: الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى، هيئة الكتاب، ٢٠١١م.

٣٧- **موسى آدم عبدالجليل:** خلاوي دارفور،مجلة دراسات أفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، د.ت.

٣٨- **نعوم شقير**:تاريخ السودان، تحقيق: محمد إبراهيم أبوسليم، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.

٣٩- **يوسف أبوقرون**: لمحات عن حياة وعادات قبائل السودان الكبرى، طبعة الخرطوم، د.ت.

٤٠- **يوسف فضل حسن**: المعالم الرئيسية في الهجرة العربية إلى السودان، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، جـ١٣، ١٩٦٧م.

رابعاً- الرسائل العلمية:

٤١- **إبراهيم حسين محمد علي**: الممالك والمشيخات العربية في سودان وادي النيل، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٠م.

عبدالمنعم ضيفي عثمان:

٤٢- الأزهر ودوره في الممالك الإسلامية في أفريقيا في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م.

خامساً- الدوريات والمجلات والمقالات:

٤٣– **أبكر عبدالبنات آدم إبراهيم**: دور قوافل طرق الحج في بناء علاقات التواصل والاتصال دارفور أنموذجا، مؤتمر طرق الحج في أفريقيا، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠١٦م.

٤٤- **مصطفى محمد مسعد**: سلطنة دارفور الإسلامية (تاريخها وبعض مظاهر حضاراتها)، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد ١١، ١٩٦٣م.

سادساً- الموسوعات:

٤٥- **موجز دائرة المعارف الإسلامية**: جـ٣٢، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٨٨م.

سابعاً- المراجع الأجنبية:

46- **A. J. Arkell**: Medieval History of Darfur in its Relationship to other Cultures & to the Nioltic Sudan, S.N.R, Vol. 40, 1959.

47- A. J. Mcgregor : The Stone Monuments & Antiquities of the Jebel Marra Region in Darfur, a Thesis of Phd, Department of Near East & Middle Eastern Civilization, University of Toronto, 2000.

48- **John Middleton (& Others):** Encyclopedia of Africa South of Sahara, Vol. I, Charles 's Scrbners Sons, New York, 1997.

49- **K. Henderson**: A Note on the Migration of the Messiria Tribe into South West Korofan, Sudan Notes & Records (S.N.R) Vol. 22. No. 1, 1939.

50 - **Macmichael** : A History of the Arabs in the Sudan , Volume I & II , Cambridge, 1922.

51-…… :The Tribes of Northern & Southern Kordofan, Cambridge University Press, 1912.

52-**Roland Oliver**: A Cambridge History of Africa, Vol. III, Cambridge University Press, 2008. **53** - **R. S. O' Fahey**: Darfur Historical Documents, University of Bergen, Bergen, 2006.

(1) **54- Willie F. Page**: Encyclopedia of African History & Culture (African Kingdoms), Vol. II, A Learning Source Book, New York, 2005.

55- **Yousuf S. Takana**: Darfur Struggle of Power & Resources, Chr. Michelsen Institute, Norway, 2016.